

الارتياح في عقل المرأة دعاية سلبية تحقر مكانتها الفقهية

المرأة لها سبق رواية الحديث النبوي وتصحيح سنده وتعليمه للرجال والنساء



إنجازات يطاردها السلفيون لتحقير المرأة

الفقه وباقي الفنون والعلوم، تم اختلاق أحاديث موضوعة تنم عن الارتياح في عقل المرأة ودينها، مروجة لتصورات وهمية عن شخصية المرأة، مؤداها التفسير من تعليمها ومن الثقة بها كصاحبة رأي يُعَدُّ به.

صورة زائفة

المرأة التي كان لها سبق رواية الحديث وتصحيح سنده وتعليمه للرجال والنساء، يكافئها السلفيون بترويج أحاديث مزورة مكذوبة تناقض القرآن وصحيح السنة، من شأنها تكريس صورة زائفة لشخصية المرأة وتجعلها بالنسبة للرجل في درجة أقل في كل شيء سواء في العلم أو العقل ومستويات التفكير. تشير أسماء سيد إلى أن الاعتدال بأحاديث منسوبة للنبي محمد، سُجِّلت بعد قرابة مئتي سنة من عصر النبوة، هو اعتدال باطل ما لم تطبق عليه قواعد العقل والمنطق لتتضح صحته، حيث لا يكفي أن تعتمد مبادئ اعتمادها رواة الحديث في الجرح والتعديل وغيرها؛ فجميعها لم تكن حديثاً يحط من قدر المرأة ويهين عقلها من الوصول إلى القارئ المعاصر على أنه حديث موثوق به.

الموسيقية والغنائية، في حين أن هذه الدعاوى تبطلها حقائق حقبة إسلامية كانت المرأة خلالها تتعلم وتشارك الرجال وتخلط بهم وتفتقهم ويقصدها الطلاب لأخذ العلم. وكذلك أخذ الحديث عن عائشة على أن شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل. وعلل ابن القيم ذلك في كتابه "إعلام الموقعين" بتوكيد الحفظ "لأن عقل المرأتين وحفظهما يقوم مقام عقل رجل وحفظه، فهي أضعف من الرجل في هذا الجانب"، غافلاً عن أن فعل "تُحْفَل" ليس مرادفاً للنسيان، إنما بمعنى اختلط عليها الأمر نتيجة ملابسات واقعة بعينها. أما القدرة على الحفظ فقد أثبت تاريخ روايات الحديث أنهم تفوقوا على كثير من رموز وقامات هذا الفن حفظاً ودراسة، وهو التاريخ الذي يصدقه واقع اليوم وكل العصور في مختلف العلوم والمجالات، ويلفت إلى ضرورة تجديد القناعات بشأن أحكام مرتبطة بظروف الوقائع وملابساتها لا بحال المرأة وعقلها الذي أثبت عبقريته والمعيتة. جعل أعضاء الجماعات المتطرفة من دعوى حرمة اختلاط الجنسين إحدى مهامهم الرئيسية في الجامعات بجانب فرض الحجاب على المرأة والجلباب والحليّة على الرجل ومنع الحفلات

ببعض المحدثات ببعض الروايات مثل زينب بنت سليمان بن إبراهيم التي أخذ عنها العلم الإمام تقي الدين السبكي. "أن تضلل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى"، جزء من آية قرآنية يُستدل بها على أن شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل. وعلل ابن القيم ذلك في كتابه "إعلام الموقعين" بتوكيد الحفظ "لأن عقل المرأتين وحفظهما يقوم مقام عقل رجل وحفظه، فهي أضعف من الرجل في هذا الجانب"، غافلاً عن أن فعل "تُحْفَل" ليس مرادفاً للنسيان، إنما بمعنى اختلط عليها الأمر نتيجة ملابسات واقعة بعينها. أما القدرة على الحفظ فقد أثبت تاريخ روايات الحديث أنهم تفوقوا على كثير من رموز وقامات هذا الفن حفظاً ودراسة، وهو التاريخ الذي يصدقه واقع اليوم وكل العصور في مختلف العلوم والمجالات، ويلفت إلى ضرورة تجديد القناعات بشأن أحكام مرتبطة بظروف الوقائع وملابساتها لا بحال المرأة وعقلها الذي أثبت عبقريته والمعيتة. جعل أعضاء الجماعات المتطرفة من دعوى حرمة اختلاط الجنسين إحدى مهامهم الرئيسية في الجامعات بجانب فرض الحجاب على المرأة والجلباب والحليّة على الرجل ومنع الحفلات

باتجاه تصحيح الكثير من المفاهيم السلفية المغلوطة عن المرأة. لا يصح أن تقبل الدعاية السلبية عن المرأة كونها ناقصة عقل ودين. وهناك محدثة ورواية تدعى فاطمة بنت قيس انفردت برواية حديث طويل ومعقد لما فيه من دقة الصور والمشاهد وغرابتها كحديث صفة وخروج الجبال، والذي حدث به النبي وسط حشود من الرجال والنساء بالمسجد بعد أن نودي للصلاة جماعة، فكيف تتهم امرأة بلغت هذا المستوى من الذكاء ودقة الحفظ بنقصان في عقلها.

دقة في علم الحديث

الذكاء والمقدرة العجيبة على الحفظ والإجادة لما تم سماعه أوصل المرأة المحدثّة إلى مستوى إجازة العلماء منذ القرن السادس الهجري، وهو ما يعكس مدى رسوخها ودقتها في هذا العلم. ومن المحدثات اللاتي أجزن علماء خديجة بنت أبي سعيد وأم إبراهيم فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية والتي وصفها الذهبي بمسندة الوقت. وأجازت الدين أو تخرج عن إطاره العام ومبادئه. قضية تحقيق المساواة هي الأهم وتشغل حيزاً كبيراً ضمن إنتاج

حققت المرأة إنجازات عظيمة في مجال الفقه ونقل الحديث النبوي وهو ما تدل عليه الكثير من قصص الصحابيات والمحدثات اللاتي كانت لهن مساهمة كبيرة في نقل علمهن إلى المسلمين من أبناء عصرهن وحتى من الأجيال اللاحقة. غير أن أصحاب الفكر المتشدد خاصة من السلفيين يرددون أحاديث ملفقة ومزورة بهدف الترويج لتصورات وهمية عن شخصية المرأة من أجل التشكيك في قدراتها العلمية والفقهية وضرب الثقة فيها وفي أرائها، فيما تبرز الوقائع التاريخية حقيقة مغايرة لذلك تماماً.

فضلما ذكرته أسماء سيد بشأن علو مكانة صحابيات مثل عائشة وأم سلمة في رواية الحديث وشرحه وأنها لا تقلان مكانة حفصا ودرية عن كبار الصحابة ممن تميزوا في هذا المجال مثل عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس، فإن شواهد كثيرة دالة على استمرار هذا التفوق النسوي بنسب متفاوتة لقرون طويلة.

تفوق نسوي

تكمن المغارقة في أن ادعاء مبدأ اللامساواة بين الرجل والمرأة يتم تقديمهم بوصفهم محدثين وهي درجة متقدمة في هذا الفن، وتنتشر أقوال عبر فيديوهات مصورة لأبي إسحاق الحويني الموصوف لدى السلفيين بمحدث العصر تحط من قدر المرأة، في حين كانت المرأة على رأس هذا العلم ذاته، وعلى يد كثير من المحدثات وروايات الأحاديث تعلم ودرس كبار العلماء والفقهاء.

يصعب حصر الشواهد والأقوال التي يمجّد بها كبار رموز علم الحديث القدامى أسانذتهم من النساء والروايات اللاتي أخذوا عنهن العلم، ومنها ما أورده ابن حجر العسقلاني في كتابه "المعجم المؤسس للمعجم المفهرس" كثيراً من شيوخاته ونوه لاشتراكه في السماع عن الشيوخ مع بعضهم ووصف بعضهم بانها مصنفة وهي عائشة بنت عبدالله الحلبية. كما أورد الذهبي قبله في كتابه "معجم شيوخ الذهبي" كثيراً من شيوخاته وكان يقول عن بعضهم "توفيت شيختنا". ما يؤكد أن محاولات بعض المعاصرين للحط من قدر المرأة ونفي قدرتها واستحقاقها أن تكون فقيهة وعالمة ليس مصدرها الدين وأن ادعاءهم القريب من علم الحديث إبداع كاذب -المرأة التي يزدورها جزء من تاريخ هذا العلم، ليس كمتفكية بل محدثة ورواية- ما حكا الرحالة ابن بطوطة عن محدثات عصره اللاتي قرأ عليهن الكتب وترجمته السخاوي لما يزيد عن مائة وسبعين سيدة من المحدثات الفقيهات واعتراف العالم الموسوعي جلال الدين السيوطي بدور شيوخاته في تكوينه العلمي وكذلك فعل ابن حزم.

وأكدت الباحثة أسماء سيد أن وصول المرأة المسلمة لهذا المستوى الرفيع في مجال مثل علم الحديث من شأنه الدفع

محمد الحماصبي
كاتب مصري

علم رواية الحديث الذي يحظى باهتمام خاص من السلفيين هو نفسه الذي يحض تصورات التيار الأصولي بشأن المرأة، فالقراءة التاريخية تؤكد تفوقها وتفريدها في العلم الذي سعوا لاستخدامه لتحقيرها وازدراؤها.

تضع أسماء سيد أسانذة الدراسات الإسلامية في جامعة كاليفورنيا رموز التيار السلفي في مازق منهجي عندما يستشهدون بالحديث النبوي نفسه للحط من قيمة المرأة ولوضعها في مكانة دون الرجل، من خلال إشارتها إلى الدور الرئيسي الذي أدته آلاف النساء المسلمات في نقل الحديث النبوي وتصحيح سنده وتعليمه للرجال والنساء على مدار قرون.



أسماء سيد
حوالي 299 شخصاً أخذوا العلم عن عائشة زوجة الرسول بينهم 67 امرأة فقط

تحدد الباحثة الأميركية من أصول هندية، في كتابها "المرأة ونقل المعرفة الدينية في الإسلام"، أزمنة اضمحلال مشاركة المرأة في رواية الحديث، والملاحظ أن المشترك بينها هو طغيان الفكر المتشدد، بما يبنه تلازم عكسي بين حضور المرأة وتفوقها ومنحها حقوقها العلمية والفكرية والثقافية وبين الفكر السلفي في الجهة المقابلة، ذلك الذي أطلق على "الجرح والتعديل" وصف علم الرجال فلا مكان للمرأة في ساحة حكمها العلم والعقل، محاولاً طمس إنجازات المرأة وسبقها في هذا الميدان كما يطمس ملامحها ومشاعرها.

الفقه النسوي يتصدى للممارسات الهادفة لإخضاع المرأة

دينية وإنما هي قواعد من وضع البشر في سياق تاريخي معين ويمكن للبشر تجاوزها أو تطويرها، ورأين أن الأحكام الفقهية المتصلة بالمرأة والمشرفة لوضعيتها الدونية تتعارض مع قيمة المساواة بين الجنسين.

الفقيهات النسويات قدمن نقدا لكافة المقولات والاجتهادات المتعلقة بالمرأة كاشفات ما انطوت عليه من انجازات ذات أصول تاريخية وثقافية

الفقه النسوي مهموم بتحقيق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة معتبرا أن الإسلام لا يتعارض مع مبدأ المساواة الاجتماعية بينهما عند توفر أسبابها بتطور الزمن، وليس هناك ما يدل على أن ما وصل إليه التدرج في حياة النبي في بعض القضايا ذات الصلة كتعدد الزوجات والميراث وغيرها هو نهاية المأمول.

إذا كان القرآن وجه المرأة لاكتساب حقوق لم تكن موجودة قبل الإسلام، فمن واجب الفقيه المعاصر المضي مجدداً لتحسين أوضاعها.

واضعات أسس هذا الفقه أن جوهر الإسلام متسق مع المساواة بين الجنسين وأن ما يظهر الإسلام على سبيل الوهم كمعاد لحقوق المرأة هيمنة تفسيرات متشعبة لا تعدو أن تكون أيديولوجياً ذكورية صاغها فقهاء والبسوها ثياباً دينية، بما شكل تحدياً على القرآن الذي أنصف المرأة كإنسان.

وكي يُعاد فهم وتفسير القرآن بما يتسق مع غاياته وبعنا عن المعاني التي تتماشى مع الأهداف النسوية المشروعة، قدمت الفقيهات النسويات نقدا للمقولات والاجتهادات المتعلقة بالمرأة، كاشفات ما انطوت عليه من انجازات ذات أصول تاريخية وثقافية.

تصدى الفقه النسوي لطائفة واسعة من الممارسات والقوانين الظالمة التي لم تكن بالحرص على إخضاع المرأة بل وصمتها بانها مواطن من الدرجة الثانية، متجاوزاً الأحكام التي كانت متسقة مع منظومات اجتماعية مؤسسة على مبدأ الذكورة ومبدأ السيادة للرجل، والتي أسهم في تشكيلها متخيل جماعي غذاه الفقهاء في تشريعاتهم منتجين منظومة تمييزية تقوم على فهم مغلوطة لمبدأ القوامة من شأنه حرمان المرأة من كل سلطة ومن السير في طريق إكمال مكتسباتها وحقوقها.

اعتبرت الفقيهات النسويات القواعد المتوارثة ليست في حقيقتها ذات طبيعة

الفقيهات النسويات الفكري؛ وهي تعني في خطابهن التساوي في احترام كل واحد لعواطف الطرف الآخر، ورفض تشريعات الفقهاء التي تتنافى مع جوهر المساواة التي أقرها القرآن للبشر جميعاً وللجنسين على حد سواء.

تحدى الفقه النسوي من يزعمون أن افضلية الرجل هي إلهاء إلهي، ورات



البحث العلمي عن مواقف أكثر تكريماً للهوية الأنثوية

حرص النساء المسلمات على التصدي للأصولية المتشددة خصوصاً مع ظهور الممارسات الأوسا في حق المرأة بصعود نماذج طالبان والقاعدة وداعش، ولد رغبة داخل أوساط النخب النسائية في تقديم قراءات مغايرة لإشكاليات الفكر المغلوق الأحادي عبر فقه نسوي تجديدي يفضح الطرح التقليدي وممارساته التسلسلية على ضمامن الناس وعلى المرأة تحديداً.

علاوة على أن الإيمانة والإحجاب اللذين تعرضت لهما المرأة المسلمة والعربية باسم الفقه الأصولي دفعا للبحث العلمي والفكري عن مواقف أخرى داخل النص الديني أكثر تكريماً وحميمية وقرابة إلى الهوية الأنثوية.

جسرة الحركات المتطرفة واقتحام تيار الإسلام السياسي لعمق المجتمعات بغرض استئناس المجال العام ونجاحه في استقطاب النساء غير العالمات، قابلتها جسارة نسائية في فتح تحقيقات عميقة في كل الممارسات التعسفية التي تقيمها مختلف السلطات الفقهية بغرض تكريس اللامساواة والنظرة غير العادلة للمرأة، عبر التفتيح في المصادر الشرعية عن المفهوم الإسلامي الحقيقي للأنثى كمتخصص قانوني وكإنسان كامل وعن مكانتها ودورها وطبيعة علاقتها بالرجل. كما أن رفض الأساس النظري الذي عولجت في إطاره قضية تحرير المرأة، والرغبة في التأكيد على أن المسلمة

هشام النجار
كاتب مصري

لا تعد ظاهرة النسوية الإسلامية جديدة فهناك نضال نسوي على مدار عقود يرتكز لتطهير فكري إسلامي قادته أسماء كبيرة ومهمة، مثل نظيرة زين الدين في لبنان وعائشة التيمورية ونبوية موسى وهدي شعراوي في مصر وغيرها. والجديد الآن، التحول من النشاط السياسي والميداني أو التخفيف منه لصالح الإنتاج الفكري والفقه الذي يمكن هذه الحركة من كسب مشروعية مضاعفة عبر تحييد البعد الديني وعدم منح الفقهاء الأصوليين ما ظلوا يحظون به من حرية ومقدرة على شيطنة وتأييم تيار التحرر النسوي.

ربما أسماء فقيهات نسويات مثل نائلة السليبي وأمال قراسي وفاطمة المرينيسي وعزيزة الهبري وليلى أحمد وأسماء بريس وأمينة ودود وغيرهن لسن مشهورات لدى العامة، في وقت يقدر ثورة فكرية قد ينقصها الترخيم الإعلامي والترويج لها عبر مؤتمرات تلقي الضوء على إنتاجهن، وعندما يحدث لن يقل أثر عطائهن في المجال الذي يجتهدن فيه عما أحدثته نضال المحررات الأوائل في الفضاء العام وفي ضمير المرأة العربية والمسلمة.